Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّة

العدد السادس عشر – آذار – 2026 / March

(سورة الكافرون) دراسة صوتية دلالية

م.د شيماء شاكر غالي [1]

[1] المديرية العامّة لتربية محافظة البصرة/قضاء أبي الخصيب/متوسطة خالد بن الوليد للبنين - العراق

[1] shaimaa75shaker75@gmail.com

ملخص. إن الكلمة في النص القرآني في حقيقتها خفيفة على السمع عذبة على اللسان تدل على المعنى بعد تدبرها وتأملها بسهولة ويسر، فهي تمتاز بخصائص داخل تركيب القرآن وسمات متعددة، فالدقة في التعبير والحيطة في استعمال الكلمة مطلب قرآني حتى لا تضل المعاني في الإفهام ويضيع المقصود، وقد دعتني نفسي إلى التأمل والتدبر في (سورة الكافرون)، وهي سورة مكيّة متكونة من ست آيات تتميز ببلاغتها الصوتية والدلالية، فجاءت دراستي لهذه السورة الكريمة دراسة صوتية دلالية تبين بلاغة كلماتها المباركة، فمن الناحية الصوتية تتسم السورة بقوة العبارات ووضوحها، وتكرار بعض الألفاظ، وهذا يعزز المعنى، ويؤكد موقفاً حازماً من الكفر والكفّار، ومن الناحية الدلالية تحمل السورة رسالة واضحة في التوحيد ورفض الشرك، وفيها تأكيد على استقلالية العقيدة الاسلامية، وعدم التنازل عن مبادئها السامية.

Abstract. The word in the Qur'anic text, in its true essence، has a gentle sound to the ear and a light touch on the tongue، indicating the meaning after reflection and contemplation with ease and clarity. It possesses distinctive qualities within the Qur'anic composition and carries multiple features, signifying precision and comprehensiveness in expression, ensuring that the intended meanings are conveyed and clarified. This prompted me to reflect and ponder upon Surat Al-Kafirun, which is a Makki surah consisting of six verses characterized by their phonetic and semantic eloquence. I dedicated my study to examining the phonetic significance of this blessed surah, as its phonetic aspect reflects the

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّة

eloquence of its precise wording, the strength and clarity of its expressions, and the repetition of certain words, which reinforces the meaning and affirms a firm stance against disbelief and disbelievers. From the semantic perspective, the surah conveys a clear message of monotheism, rejection of polytheism, confirmation of Islamic steadfastness, and the refusal to abandon its fundamental principles.

المقدمة

يعدّ القرآن الكريم أرقى النصوص العربية فصاحةً وبلاغةً؛ فهو يجمع بين جمال الصوت وروعة المعنى في نسيج واحد متكامل، وقد أولى العلماء والمفسرون منذ القرون الأولى عناية بالغة بدراسة ألفاظه وتراكيبه، ليس من حيث المعنى والدلالة فحسب، بل من حيث الأصوات التي تشكل بنيته الإيقاعية والموسيقية؛ فالجانب الصوتي في القرآن ليس عنصراً شكلياً، بل هو جزء من إعجازه البياني؛ إذ تتآلف الأصوات لتحدث أثراً نفسياً وجمالياً يدعم المعنى، ويمنحه قوّة التأثير في السامع.

أمّا من ناحية الدلالة، فإن الألفاظ القرآنية تتميّز بالدقة في اختيار الكلمة، بحيث تأتي كل مفردة في موضعها لنؤدي المعنى المقصود دون زيادة أو نقصان، مع ارتباطها بالسياق العام للآية والسورة، ومن هنا جاءت الدراسات الصوتية الدلالية محاولة الكشف عن أسرار التناسب بين جرس الألفاظ ومعانيها، وإظهار كيف يوظف القرآن الكريم هذه العلاقة لإيصال الرسالة الإلهية بأبهى صورة من البيان والإعجاز.

تعدُ (سورة الكافرون) من السور المكية التي نزلت لإعلان البراءة الكاملة من الشرك وأهله، وجاءت بصيغة حاسمة وفاصلة تبيّن الثبات على عقيدة التوحيد، تمتاز هذه السورة بقصر آياتها، وقوة ألفاظها، وإيقاعها الصوتي المميز الذي يترك أثراً عميقاً في أذن السامع ونفسه.

ومن الناحية الصوتية، تتسم السورة بتكرار المقاطع الحرفية ذات الجرس القوي، مثل الكاف والراء والنون، مما يضفي على النص صلابة وصرامة تتناسب مع مضمونها في رفض عبادة غير الله، كما أنّ التكرار الصوتي في بعض التراكيب يعزز المعنى ويؤكد الموقف العقدي الثابت.

أمّا من ناحية الدلالة، فقد جاءت الألفاظ دقيقة في اختيارها، بحيث تحمل كل كلمة معناها الكامل في موضعها، وتعكس موقفاً عقدياً لا يقبل المساومة، ويبرز في السورة التوازن بين الصوت والمعنى، مما يجعلها مثالاً بديعاً على انسجام المبنى مع المعنى في القرآن الكريم.

عنوان السورة الكريمة: الكافرون

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

إن للعنوان دوراً مهماً وأثراً كبيراً في الإفصاح عمّا يتضمنه هذا النص القرآني، ويوحي لنا العنوان ببثٍّ دلاليّ واضح، فصيغة أسم الفاعل وقد جُمعت جمعاً مذكراً سالماً وهو دال على إرادة الحدث، وصيغته قريبة من الفعلية تتلاءم مع فعل الكفار (مساومة الرسول على دينه)، والعنوان لم يأتِ جمع تكسير على (كفّار أو كفرة) بل بصيغة جمع المذكر السالم ليكون دال على استمرارية الكفر حتى تثبت وصفاً فيهم (حمود، 1999: 284- 285).

ونلحظ أن الصيغة الخاصة بالكافرين في عنوان السورة (الكافرون) وبعدها (عابدون) التي وردت مرتين قد التزمت هذا الشكل الواحد، لتؤكد الحالة الواحدة للكفار وتجزم بالثبات على الكفر، فالعنوان أولاً دعا إلى ذلك الأمر (الشمري، 2001: 58).

" قل يا أيها الكافرون (1) "

ابتدأت الآية الكريمة بحرف القاف(ق) وهو صوت لهوي (بشر، 1980: 54)، وهو صوت مفخم يخرج من اقصى اللسان وما يليه من الحنك العلى وتلاه صوت اللام وهو صوت منحرف يخرج من حافة اللسان إلى الطرف وما فوقهما (حسّان، 2009: 59) (قُلْ) جمعت الفعلية والأمرية في المعنى وهي في المبنى يجب أن تكون على وزن إفْعَل وهو وزن فعل الأمر، لكنها جاءت على صيغة (قُلْ)، إن اصلها (قول) سقطت الواو لسكونها وسكون اللام، جاءت الآية الكريمة مبتدئة بفعل أمر وهو (قُلْ) فعل أمر تام مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره (أنتَ) (أبو عبية، 1997: 824، عبد الباقي، 1999: 580).

(يا) حرف نداء، نلاحظ ان صيغة النداء في النص القرآني تشكل اسلوباً بارزاً يضفي على النص إيقاعاً يقتضيه السياق الأسلوبي للمشهد أو الحدث، وأسلوب النداء – بطبيعته العامة– هو قرع للأسماع، وإيقاظ للغافلين، فهو ايقاع ذو تأثير غايته الأيقاظ والاستنهاض. وحرف (يا) له قرع ثقيل ومؤثر في النفس، إضافة الى وجود المد الطويل المتمثل بحرف (الألف) يمتاز بقوة وضوحه السمعي (زيارة، 2013: 104). لقد اقترنت صيغة النداء هنا بصيغة الأمر قبلها على عكس المألوف في النداء في أغلب الآيات حيث يأتي الأمر بعد النداء. الظاهر أنه أمر للمنادي بالقول وليس للمنادى. لكنه في الحقيقة هو أمر لهؤلاء الكافرين بأن يسمعوا قول النبي (صلى الله عليه وآله) وأن يكفّوا أذاهم عنه، فاقترن هنا اسلوبان في سياق واحد، الأمر والنداء وقد جاء النداء بصيغة (يا ايها) التي تمتاز بمد ايقاعي عالٍ نتيجة لوجود صوت المد الطويل مما يمنحها موسيقية واضحة في سياق الآية الكريمة.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ولو عدنا إلى الفعل (قُل) الأصل فيه (قَال) وأصلها (قَوَلَ) بإبدال الواو ألفاً وقول تتألف من (ستة اصوات لغوية) هي قاف وفتحة وواو وفتحة لام وفتحة بهذا الترتيب.

ويتضح من كتابتها كتابة صوتية (قَ–وَ– لَ) والألف منقلبة عن شبه العلة (الواو) والفتحة السابقة لشبه العلة والفتحة التالية لهما قد سقطتا (عبدة، 2010: 32)، ونلاحظ أن صوت ق و ل يشتركان في صفة الشدة وقد صنفهما سيبويه (حسّان، 2009: 59) أيضاً وعرف الصوت الشديد: هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه.

فصيغة الأمر هذه (قُلْ) التي ابتدأت بها السورة الكريمة أعطت إيقاعاً شديداً وأوحت بنغمة إقرار بهذا القول وأهميته؛ كون المراد إبلاغه للناس، وأن الرسول (صلى الله عليه وآله) مرسل به ليبلغه (بن عاشور، د.ت: 850/30).

وجاءت لفظة (الكافرون) وهي أسم فاعل تدل هذه الصيغة على المبالغة في الكفر وتوغلهم فيه حتى اصبح نسياً لهم لأن صيغة فاعل تدل على (النسب)أيضاً. ويتوضح الإعجاز في البيان القرآني باستخدام لفظة (الكافرون) بدل (صيغة الفعل) التي نراها في نداء المؤمنين (يا ايها الذين آمنو) فلم ترد هنا يا ايها الذين كفروا فلم يأتِ النداء للاسم الموصول (الذين) لأنه علامة من علامات الاسم وليس اسماً صريحاً لأن النداء هنا أُريد به كلاماً مباشراً وتوبيخاً حاضراً في الزمن الحالي لنزول الآية، أن صيغة الفعل (كفروا) تدل على زمن مضى فربما هو كانوا كفاراً وربما الآن ليسوا كذلك، وهذا ليس المعنى المطلوب، لذلك نرى لفظة (الكافرون) بالغة الوضوح لكل ذي عقل مفتوح لبلاغة اللفظة القرآنية.

ونرى فيها صوت الواو (واو الجماعة) وهو يعطي امتداد الى الأمام وهو يعطي زيادة وامتداداً في كفرهم، ونلاحظ أن صوت النون (ن) في لفظة الكافرون له أهمية كبيرة فهو من الأصوات الصامتة، وهو اكثرها تردداً في فواصل السور المكية – وهذه السورة منها – فقد ورد في هذه الفواصل (2412) مرة، والفواصل كما هو معلوم حروف متشابكة في المقاطع توجب حسن إفهام المعنى (الرماني، 1976: 88).

وتتميز السور المكية – بوجه عام – ببنائها على الفواصل القصيرة أو المتوسطة بينما تطول الفواصل في السور المدنية، ولعل السبب هو مناسبة الخطاب اللغوي في السور المكية لطبيعة المكيين فقد كانوا قوماً جبابرة تسود بينهم المنكرات والعادات السيئة والأخلاق الفاسدة، لذلك كان يقتضي خطابهم بلغة سريعة آخذة، غير مسترسلة، وقول حاد وحاسم، مُحذر تقتصر معه الجمل ويبرز التجانس الصوتي (العبد، 1989: 88).

ويساوي صوت النون اكثر من ثلاثة أضعاف الصوامت الأربعة الأخرى مجتمعة وهي (م ر د ب) (وصوت النون أسناني انفي مجهور، يعتبر من أطول الأصوات الصامتة في العربية من حيث المدة الزمنية التي

يستغرقها كل منهما في النطق) (الأنطاكي، 1969: 246) ويتمتع صوت النون بميزة صوتية وموسيقية تتمثل في (الغُنَّة) التي تنشأ من ضغط الهواء خارج من الرئتين بالفم عند النطق به، فيخرج الهواء من الأنف.

والغُنَّة شديدة في صوت النون، اشد من الميم، وقد لاحظ (الخليل بن احمد) ذلك من قبل وأعتبر النونَ أشدُّ الحروفِ غُنَّةً. وهذا يُفسر زيادة عدد النون على الميم في نهايات فواصل سور القرآن وصوت النون له أيضاً صفة (الرَّنين) رنينٌ في النفس يثير الجلال والشجن فيناسب قداسة القرآن وقوة تأثيره وعمقه، خاصة عند اتصالها بأصوات المد الثلاثة الطويلة وهي (الألف، الواو، الياء) فتكون هنا الفاصلة قمة في الرنين (زيارة، 2013: 173).

فاستخدام صوت النون وكثرته في فواصل السور المكية يحمل دلالات أسلوبية وموسيقية عالية وتكرار الفاصلة في هذه السورة وغيرها يضيف انتظاما زمنياً وجرساً مؤثراً إن كلمة الكافرون فيها (ال التعريف) هي لاصقة تسبق الاسماء فتجعلها معرفة، كونُ (ال) مورفيما يجمع بين خصيصتي الراء واللاصقة لا يعني أن ثمة وجود تعارض بينهما ويُعزى ذلك الى امور منها: إن (ال)كونها اداة من الأدوات النحوية، لا تمنعها من تأخذ طابعاً الصاقياً. وفيها (الواو والنون) وهي من لواصق العدد والنوع.للدلالة على جمع المذكر السالم.

ويرى الدكتور تمام حسان (أن أوسع اللواصق مجالاً هي الضمائر المتصلة لأنها يمكن أن يستفاد منها معانٍ ثلاث: الشخص، والعدد، والنوع) (حسّان، 2009: 159). إن الكافر مشتق من كَفَرَ وهذا الاشتقاق العام. وأطلق عليه يوسف غازي مصطلح الاشتقاق التأثيلي الذي يكون عن طريق (الاشتقاق الفعلاني) وهو اخذ بنية اسم من فعل نحو كاتب من كتب (غازي، 1985: 174).

ويسمى اسم الفاعل بالفعل الدائم عند الكوفيين، ويرى الدكتور ابراهيم السامرائي اعتباطية مصطلح الدائم من ناحية تعيين الدلالات الزمنية المحددة قلنا: لسنا ندري لِمَ أطلق الفراء(ت 207هـ) على هذا البناء مصطلح الدائم ذلك أن لفظ (الدائم) يُشير الى الدوام والاستمرار، وكلام العرب لا تشير الى أن بناء فاعل يعطي هذه الفائدة الزمنية فهو يدل على الحال والاستقبال والمضي (السامرائي، 1966: 101) إن اسم الفاعل يؤدي وظيفة الفعل (فعله) ويدل دلالته (المنصوري، 2002: 83).

كذلك ان لاحقة الواو والنون (ون) تؤثر في عدد المقاطع الصوتية إذ عند التصاقها بالجذر تحوله الى اربعة مقاطع صوتية، وهو مكون من مقطعين صوتيين قبل التصاقها به. وهي ذات وظيفة مزدوجة تلتصق بالأسماء والأفعال، ولا تشكل هذه اللاصقة بنية مقطعية تامة، ولا توجد (ضمة) قبل لاصقة الواو والنون." قُل يا أيها الكافرون " ياء: حرف نداء (ايُّ) رفع النداء (ها) للتنبيه (الكافرون) نعت لأي وصلة له (ابن

خالويه، 1988: 212). ومعناها (اي قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعونك الى عبادة الاوثان التي يعبدونها والاحجار (النجار، 2010: 324).

" لا أعبدُ ما تعبدون " (2)

بدأ الرسول (صلى الله عليه وآله) بإعلان البراءة من الكفر والشرك بالله سبحانه وتعالى ليس في الحاضر فقط بل في المستقبل أيضاً؛ ذلك أن النفي بأداة النفي (لا) الداخلة على الفعل المضارع، لا يكاد الفعل يتحقق معها الآن بل في المستقبل، ويشير إلى أنّ الله لا يجعلهم يظفرون به، وأنّ الله مثبتٌ لرسوله على صراطه المستقيم (البقاعي، 1984: 22/ 305).

بدأت هذه الآية والآيات الثلاث التي تليها بـ(لا) النافية اي نرى انها تكررت (أربع مرات) في هذه السورة المباركة وهذا مظهر من مظاهر تكرار اللفظة في القرآن الكريم، والغرض من تكرارها ليس المجانسة، بل مشاكلة اللفظة لأختها، لغرض تقوية النغم وإبراز الإيقاع، إن هناك توافقاً كاملا في هذه السورة بين المبنى والمعنى؛ فالإيقاع كامن بين داخل آيات القرآن الكريم وخارجها وبوحدتهما يحدث تناسق عجيب والإيقاع هو صورة حيّة تظهر لنا هذا التناسق (السلامي، 1980: 257).

والقرآن يهدف الى قوة التأثير في عقول سامعيه وقارئيه وقلوبهم فاستعمال عدة وسائل اهمها التكرار (البصير، 1974: 20)، والتكرار في اللفظة الواحدة يؤدي إلى نوع من التوقع يكسب النص قوة أدائية وتعبيرية عالية. واسلوب التكرار شائع عند العرب فنرى القرآن خاطبهم بما يألفون ويعرفون من الأساليب.

وفي اعتقادي المتواضع أرى أن (لا) في الآية الثانية تعادل (قُلْ) في الآية الأولى فهي تساوي في قوتها قوة فعل الأمر وهي تشابهه في المقاطع (قُ ـ لْ) (لَ – ا) فكلاهما متكون من صامت، فحركة، فسكون وأرى في الآية الثانية هذه (لا اعبدُ ما تعبدون) قوة وكأنما تكرر أمر القول فيها قبل (لا) مثل قوله تعالى " قل لا أسألكم عليه أجراً.." (سورة الشورى:23) (ابن خالويه، 1988: 213) وغيرها من الآيات.

فالمعنى يحتمل استمرار الأمر بالقول لأهمية هذا الموقف فكأنما المُراد والله اعلم قل يا ايها الكافرون قل لا اعبدُ ما تعبدون ولم تتكرر (قُل) للمحافظة على إيقاع الآية الثانية مع الآية الأولى. (أَعبدُ) جاءت فيه اللاحقة التصريفية (الهمزة) وهي لاصقة إعرابية في الحقيقة لأنها تشكل أواخر الكلم التي تقع اللواصق الصوتية عليها (الحركات).

وهذا يؤكد أن نظام السوابق له إسهام في الناحية الإعرابية فهو يحدد الفاعل، اي يقوم بوظيفة إعرابية وكذلك الحال في (تعبدون) جاءت اللاحقة التصريفية (التاء) وهي ايضاً لاحقة اعرابية وهناك لاصقة أُخرى فيها لاصقة (الواو والنون) وهي زائدتان الأولى واو مضموم ما قبلها لتُميز الجمع عن التثنية، ونونها مفتوحة

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

وتختص هذه اللاصقة بالأفعال المضارعة فقط، وهي هنا لم تحدث اي تغيير في بنية الفعل لن آخر الفعل المضارع صحيح، ولو كان من الافعال الناقصة (آخرها ألف أو واو أو ياء) لتغيرَّت بنيته.

جاءت (تعبدون) وقد حذفت منها (الهاء) فالأصل فيها تعبدونه وجاء الحذف دلالة على تقليل شأن الاصنام التي يعبدونها بعدم ذكرها، ويدل حذف الهاء أيضاً على العموم بأن كل الآلهة المتعددة هي المقصودة وكذلك أفاد هذا الحذف العمول والشمول للزمن المستمر فأعتقد والله اعلم ان ذكر الهاء والقول تعبدونه تدل على معنى الحالية والآنية بينما المعنى المقصود هو البراءة من كل ما عبدوه في الأزمنة الماضية والحاضر والمستقبل ويتجسد هذا المعنى اكثر في الآيات الأخرى التي تلت هذه الآية.

ونلاحظ مجيء (ما) قبل هذا الفعل وهي اسم موصول بمعنى (الذي) وما تستخدم للدلالة على غير العاقل، وهذه دلالة على زيادة الاستهانة بآلهتهم لأنها غير عاقلة، ونلاحظ عدم مجيء الاسم الموصول (الذي) صراحة في الآية وعُوِضَ بلفظ يدل على انعدام العقل في الآلهة وعُبَادها أيضاً والمحُ – والله اعلم –.

إن مجيء (ما) هو مكمِّل لـ (لا) في بداية الآية فهما منسجمان في الصوت (المقاطع) ووجود صوت الألف فيهما وهو اسهل الأصوات الصائتة نطقاً، إضافة إلى الأعلى ونلحظ أننا عند النطق بالألف نرفع رؤوسنا إلى الأعلى، وهذا الرُفع يحدث في الأثنين (لا) و (ما)، ونلحظ أننا في حياتنا اليومية لدينا أشاره تدلُّ على الرفض برفع الرأس، وهذا رابط بسيط يُقصد منه التوضيح. فأعتقد أن النفي بـ (لا) اولاً وأُكمل بـ(ما) برغم أنها جاءت هنا في تفسير اسم موصول فهي قد تأتي للنفي أيضاً وهو الأصل فيها.

ومما يثبت هذه الفكرة لديَّ أن (لا) و(ما) تكررتا معاً في هذه السورة الكريمة أربع مرات في أربع آيات متتاليات وهذا دليل على انسجامهما في الصوت وفي جوانب أُخرى. وإعراب هذه الآية الكريمة لا جحد وأعبدُ فعل مضارع وعلامة رفعه ضم آخره ما نصب مفعول به وهو بمعنى (الذي) اي لا اعبد يا معشر الكفرة الصنم الذي تعبدونه تعبدون صلة (ما) والواو الذي فيه ضمير الفاعلين، والهاء المضمرة تعود على (الذي) والتقدير وما تعبدونه:فإن قيل لك: لم حُذفت الهاء؟ فقل لما صارت أربعة أشياء شيئاً واحداً: الاسم الناقص، مع صلته وهو الفعل ومع الواو وهو ضمير الفاعلين، ومع الهاء وهي المفعول، فلما طال الاسم بالصلة حذفوا الهاء، وهي اولى بالحذف لأنها مفعول (فضله)، ومعناها (اي لا اعبد هذه الاصنام والاوثان التي تعبدونها، فأنا بريء من آلهتكم ومعبوداتكم التي لا تضر ولا تنفع ولا تغني عن عابدها شيئاً) (النجار، 2010: 324).

" ولا أنتمْ عابدون ما أعبد " (3)

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

في الآية السابقة جاء نفي العبادة عن نفسه لآلهتهم الباطلة اولاً بصيغة المضارع (أعبدُ)، ثم عدل عن المضارع إلى صيغة الاسم، نلاحظ تكرر النفي بـ (لا) وماله من دلالات في تقوية معنى النفي، والملاحظ هنا تحول العبارة من الفعل المضارع (تعبدون) فلم ترد (ولا تعبدون ما اعبد) اي كما في الآية التي سبقتها فنلحظ أن (تعبدون) تحولت إلى أسم (جملة اسمية) وهي (أنتم عابدون) مبتدأ وخبر وبقيت صيغة نفي عبادته (صلى الله عليه وآله وسلم) لآلهتهم كما هي بصيغة الفعل المضارع (أَعبدُ).

وفي هذه العبارة إخبار وإثبات لدلائل نبوءته (صلى الله عليه وآله)؛ ذلك أن الرسول يعلم بإنباء من الله سبحانه بأنّ الكفار ليسوا عابدين لما يعبد هو، وإن تكرار هذا في الآية الخامسة هو إرداف يؤكد نفي عبادة الكفار لله عزّ وجل، واوصلت بينهما الآية الرابعة بنفي أن يعبد الرسول (صلى الله عليه وآله) آلهتهم لتحقيق مناظرة استحالة عبادة أحد الطرفين لمعبود الآخر أو إلهه.

وقد ورد الضمير (أنتم) بعد (لا) زيادة في التأكيد في الخطاب لهم وتوبيخهم ونلحظ قوة صوت الهمزة فهو صوت حنجري اي يخرج من الحنجرة فهو صوت بعيد المخرج وكأنه يخرج من صَدْرِ المتكلم المتأثر جداً بما يقول، ثم إن مجيء النون معه وهو صوت لثوي فعند النطق به يطبق اللسان على اللثة ثم صوت التاء وهو صوت اسناني لثوي ثم الميم وهو شفوي.فعند النطق بهذا اللفظ ((أنتم)) يشمل الاصوات من أبعدها مخرجاً الى اقربها فكأنه يشمل الأصوات جميعها كما يشمل جميع من كان كافراً (الكفار جميعهم) الحاضر والغائب.

(عابدون) عُدِلت هذه اللفظة عن الفعل المضارع فهي (اسم الفاعل) والسر في هذا العدول في أغلب الأقوال المذكورة هو شمول الزمان (اي جميع الأزمنة. ونلاحظ مجيء لاحقة الواو والنون (وهي من لواصق العدد والنوع كما مرَّ ذكره)، ثم (ما) اسم الله تعالى في موضع نصب، (أعبد) فعل محمد (عليه السلام) وهو صلة (ما) (ابن خالويه، 1988: 213)، وقد تكررت هذه الآية مرتين.

" ولا أنا عابدٌ ما عبَدتُّم " (4)

الواو: حرف عطف (أنا) إن لهذه اللفظة دلالة مهمة في سياق الآية القرآنية، فلو لاحظنا الاصوات فيها (الهمزة والنون وألف المد) وانسجامها فيما بينها وانسجامها مع أصوات (لا) التي قبلها وانسجامها مع المقطع الأول مما بعدها (عا) في (عابد) ولو دققنا النظر لوجدنا تكرار صوت الألف في هذه المقاطع المذكورة معا (لا أنا عا) ومع ما يدُلُّ عليه صوت الألف من الآباء والعلو (وقد ذكرت قبلاً حركة الرأس الى الاعلى عند النطق بالألف) ففي رأيّ المتواضع أن تكرار الألف هذا دلَّ تكرار وتأكيد أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يأبى أن يرضخ لكلامهم ويعبد آلهتهم الباطلة وهو يعلو فوق اعتقاداتهم الواهنة باحتمال هذا المر.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

ثم نأتي إلى صيغة (عابد) فلم يقل(لا أعبُد) بل قال (ولا أنا عابد) ولم يقل (ما تعبدون) بل قال (ما عبدتم) فاللفظ في فعله وفعلهم مغاير للفظ في الجملة الأولى، والنفي في هذه الجملة الثانية أعم من النفي بالأولى فإنه قال (ولا أنا عابدً ما عبدتم) بصيغة الماضي فهو يتناول ما عبدوه في الزمن الماضي لأن المشركين يعبدون آلهة شتى وليس معبودهم في كل وقت هو المعبود في الوقت الآخر، كما أن كل طائفة لها معبود سوى معبود الطائفة الأُخرى.فقوله هذا (ولا أنا عابد ما عبدتم) براءة من كل ما عبدوه في الأزمنة الماضية، كما تبرأ أولا مما عبدوه في الحال والاستقبال فتضمنت الجملتان البراءة من كل ما يعبده المشركون والكافرون في كل زمان ماضٍ، وحاضر، ومستقبل، وقوله اولاً (لا اعبد ما تعبدون) لا يتناول هذا كله، وبهذا تكون فائدة (العدول الى اسم الفاعل) في هذا الموضع هي الشمول فهو شمولٌ لجميع الأزمان اولاً وشمول لجميع معبوداتهم الباطلة والتبرؤ منها كلها التي عبدوها أو يعبدونها في يوم من الأيام.

وقد ذكر ابن تيمية – رحمه الله – إن المشتهر في دلالة اسم الفاعل المنون على الاستقبال ولكن يجوز صرفه إلى غيره بدلالة القرائن، وقد دلَّ لفظ (عبدتم) على صرفه الى معنى المضي، فضلاً عن أن الكسائي وابن هشام جوزا إعماله ماضياً (هنداوي، 2001: 171).

وهناك رأي لم يذكره غير (الامام ابن تيمية) – رحمة الله – بفائدة هذا العدول أنه اسم فاعل قد عَمِل عَمَلَ الفعلِ، ليس مضافاً فهو يتناول الحال و الاستقبال أيضاً، لكنه جملة اسمية والنفي بما بعد الفعل فيه زيادة معنى كما تقول (ما افعل هذا، وما أنا بفاعله) فإنه نفى عن الذات صدور الفعل عنها.

" ولا أنتم عابدون ما أعبد " (5)

إن تكرار هذه الآية كما هي دون تغيير فيها (كما في الآيات الأخرى)يدلُّ على أهميتها في سياق التأكيد والتزييد فيه (وقد تحدثت في تفاصيلها سابقاً)، إن تكرار العبارة القرآنية داخل السياق يضفي على النص ايقاعاً ونغماً، أكبر بكثير مما تضفيه اللفظة المفردة المكررة، أو الصوت المكرر إذ أن في العبارة أيقاعاً مستمداً من اللفظة ذاتها، ومن اصواتها المنفردة، إضافة الى الايقاع المتكون من العبارة نفسها (زيارة، 2013: 95)، و(ابن الاثير) يرى ان التكرار يفيد تقوية المعنى، وسبيل هذه التقوية قرع الأسماع وإيقاظ الأذهان، ويقرر (الزمخشري) أن التكرير في القرآن مطلوب منه تمكين المكرر في النفوس وتقديره.

إن التكرار امر طبيعي في القرآن الكريمة سواء في تكرار اللفظة بعينها فقد تكررت الاداة (لا) أربع مرات أو تكرار العبارة مثل تكرار الآية الثالثة، بعد آية منها، وتكرار بعض الاصوات والمقاطع وغيرها.

وقد قيل في تفسير هذه السورة المباركة اي لا أعبد الآن ما تعبدون ولا أجيبكم فيما بقي أن أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما اعبد إلا أنه في التمثيل أن الكافرين دعوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى أن يعبد

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

آلهتكم ويعبدون هم إله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويؤمنون به فيما مضى والآن أنزل الله عليه لا اعبد ما تعبدون في الجاهلية ولا أنتم عابدون ما اعبد في الجاهلية والاسلام، لا أعبد الآن ولا فيما بقي (التيمي، 1962: 314).

" لكم دينكم ولي دين " (6)

إنَّ وصولنا لهذه الآية الختامية يذكرنا بمطلع السورة الكريمة (قُل يا أيها الكافرون) نداء للكفار مؤذناً بختامها (لكم دينكم ولي ديني)، وبين أول الآية وآخرها ذُكرت الشروط بين الطرفين، وقد اختصّ آخر السورة المباركة ببيان حاصل النتيجة بين طرفي المسألة؛ بأن يقطع الرجاء بأن يعدل أحدهم عن دينه (البقاعي، 1984: 22/ 309).

فنجد حسن الختام في هذه الآية بين طرفي القضية لتقرير حقيقة الدين، أي الدين الحق وهو التوحيد، فقد حصلت متاركة بين طرفي هذه المناظرة، ونلحظ في طرفيها تقديم المسند على المسند إليه و(اللام)هنا دالة على شبه التملك، و(الميم) تملك صريح (ابن تيمية، 1982: 236).

وتفسيرها اي لكم شرككم، ولي توحيدي وهذا غاية في التبرؤ من عبادة الكفار، والتأكيد على عبادة الله الواحد القهار ونلاحظ أن ضمير الكفار قد ذُكر صراحة مع العلامة التي تدل على جمعهم دلالة على توغلهم في عبادة هذه الصخور على مدى الدهور. وتكرار الضمير الكاف وكذلك الميم في هذه الآية الكريمة يدل على التأكيد على ترسخ الكفر في نفوسهم وعقولهم حتى تَملّكهم وتَملّكوه هم أيضاً بالتالي.

ونرى الفرق في لفظ (دينِ) لم يُذكر الضمير الذي يدل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعوض عنه بحركة تدل عليه وباعتقادي المتواضع أن السبب هو أن الدين لله عز وجل وأن دين الاسلام هو للبشرية كلها وهناك ما يدل عليه وهو الضمير (ياء المتكلم) في (لي) المتصل بحرف الجر اللام، فربَّما يكون تكرار ذكره غير مراد ولا غرض منه بأن يعاد، وربما – والله اعلم – أُريدَ من هذه الآية أن تختم بصوت النون كما خُتمت الآيتين الأولى والثانية به فهو ربما حذف مراعاة للإيقاع المسيطر على السورة وأهمية صوت النون وجعله خاتماً للآية. (وقد ذكرتُ سابقاً النون وأهميتها وكثرتها في فواصل القرآن الكريم).

إنَّ للقرآن سحراً عجيباً في نسقه المتميّز والجامع لسمات الشعر والنثر معاً، وهو نسق متحرر من قيد توحيد القافية والتفعيلة، فنجد فيه كامل الحرية في التعبير عن الأغراض العامّة، وفي داخله خصيصة الموسيقى، وتقارب وزن الفواصل، ما يغني عن التفعيلة والقافية الموحدة (قطب، د.ت: 87).

إنَّ هناك تدفقاً إيقاعياً في هذه السورة المباركة، وهي تبتدئ بإيقاع شديد يوجّه التوبيخ للكفار معتمداً على الاشتقاق المتماثل من الجذر اللغوي (ع، ب، د) وتغيّره بـ(أعبد، تعبدون، عابد، عبدتم) فإنّ هذه الألفاظ دالة على التذلل للعباد، وفي المقابل لا يستحقها إلّا الخالق جلّ جلاله (الأصفهاني، د.ت: 2/ 479).

إن مطلبنا هو أن نجعل القرآن حجة على العربية في تعبيره ونظمه وتراكيبه واساليبه، لأن له خصوصية تعبيرية وفنية تفوق البلاغات الكلامية الأخرى، فعلى دارسه إذن ألا يخضعه لضوابط العربية المحدودة، بل يجعله مثالا يحتذى به في نظمه وتأليفه وتركيبه واسلوبه.

وبآخر المطاف ادعو الله العلي القدير ان يجعل هذه الدراسة القرآنية لهذه السورة الكريمة خطوة مباركة تترك أثرا نافعا لدارسي سفرنا العظيم (القرآن الكريم)، فقد استفدت قبل ان افيد.

الخاتمة

يتضح من خلال دراسة سورة الكافرون أن بلاغة الصوت والدلالة تتجلى فيها بأبهى صورها، حيث انسجم الإيقاع الصوتي مع المعاني المقصودة انسجاماً تامّاً، فجاءت الألفاظ مختارة بدقة لتعكس الحزم والثبات في الموقف، وتؤكد مبدأ التوحيد ونفي الشرك بشكل قاطع، إن تكرار العبارات، وتوازن المقاطع، وحسن اختيار الحروف، جميعها أسهمت في ترسيخ المعنى في ذهن السامع، مما يجعل السورة مثالاً بارزاً على التلاحم بين جرس الألفاظ وقوة الدلالة في القرآن الكريم.

المصادر

[1] هنداوي، د. عبد الحميد احمد يوسف، 1422هـ –2001م، الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، ط1، صيدا– بيروت، المكتبة العصرية.

[2] السلامي، عمر، 1980م، الاعجاز الفني في القرآن، ط1، تونس، مؤسسات عبدالكريم عبدالله.

[3] ابن خالويه، أبي عبدالله الحسين (ت 370هـ)، 1988م، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، (د – ط)، بيروت – لبنان، دار ومكتبة الهلال.

[4] النجار، د. إخلاص باقر، 2010م، اقرأ ما تيسر من القرآن مع التفسير، ط2، العراق، دار الكتب للطباعة والنشر.

[5] قطب، سيد، د.ت، التصوير الفني في القران، د. ط، القاهرة، دار الشروق.

[6] ابن عاشور، الطاهر، د.ت، تفسير التحرير والتنوير، د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، والدار الجماهرية للنشر والتوزيع والاعلان.

[7] ابن تيمية، 1988م، التفسير الكبير، تحقيق وتعليق: د.عبدالرحمن عميرة، ط1، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.

[8] عبده، د. داود، 2010م، دراسات في علم اصوات العربية، ط1، المملكة العربية السعودية، دار جرير للنشر والتوزيع.

[9] المنصوري، د. علي جابر، 2002م، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ط1، الاردن، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع.

[10] زيارة، د. عبد الواحد، 1434 هـ - 2013 م، سحر النص قراءة في بنية الايقاع القرآني، ط1، بغداد، دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع.

[11] البصير، د. محمد مهدي، 1947م، عصر القرآن، ط1، بغداد، مطبعة العاني.

[12] بشر، د. كمال، 1980م، علم اللغة العام (الاصوات)، ط7، القاهرة، دار المعارف للطباعة والنشر.

[13] السامرائي، د. أبراهيم، 1966م، الفعل زمانه وأبنيته، ط1، بغداد، مطبعة المعاني.

[14] حسّان، د. تمّام، 2009م، اللغة العربية معناها ومبناها، ط6، القاهرة، عالم الكتب.

[15] التيميّ، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ)، 1954 م – 1962م، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلّق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، د. ط، القاهرة، مكتبة الخانجي.

[16] غازي، د. يوسف، 1985م، مدخل الى الألسنية، ط1، لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب.

[17] ابو عُبية، الشيخ محمد فهيم، 1997م، معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم، تقديم: محمد سيد طنطاوي، ط3، القاهرة، مكتبة لبنان أبو الهول.

[18] عبد الباقي، محمد فؤاد، 1420هـ – 1999م، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط1، بيروت – لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

[19] الاصفهاني، الراغب، د.ت، المفردات في غريب القران، اعده للنشر د. محمد احمد خلف، د.ط، مصر، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية.

[20] البقاعي، برهان الدين أبو الحسن، ابراهيم بن عمر(ت885هـ)، 1969-1984م، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط1، القاهرة، توزع مكتبة ابن تيمية.

[21] الرماني، علي بن عيسى بن عبد الله أبو حسن (ت 384 هـ)، 1976م، النكت في إعجاز القرآن، ط3، مصر، دار المعارف.

[22] الانطاكي، محمد، 1389هـ – 1969م، الوجيز في فقه اللغة، ط1، حلب – سوريا، المطبعة

الحديثة.

الاطاريح والرسائل الجامعية

[23] حمود، باسل خلف، 1999م، اسماء سور القران الكريم، دراسة لغوية تحليلية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، بأشراف د. عماد عبد يحيى.

[24] الشمري، وداد مكاوي حمود، ٢٠٠١ م، التوازي في القران الكريم، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، بأشراف الاستاذ الدكتور شجاع مسلم، والاستاذ المساعد الدكتور حميد لازم مطلك.

الأبحاث المنشورة والدوريات

[25] العبد، الدكتور محمد السيد سليمان، 1989م، من صور الأعجاز الصوتي في القرآن الكريم، بحث، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد التاسع، العدد 36.